

الباب الثاني

نشأة الفلسفة العملية

(القرنان الخامس والرابع قبل الميلاد)

٢٢ - تمهيد :

١ - بالرغم مما ذكرنا من عناية الفيثاغوريين بالأخلاق ، والإيليين بالمبادئ ، العقلية والجدل ، كان الفكر اليوناني في الدور الأول متجهاً نحو العالم الخارجي مستغرقاً فيه . أما العالم الداخلي الذي هو مصدر الأخلاق وموطنها ، وأما العقل الذي هو مصدر المعرفة ومستقرها فلم يعمن بهما بالذات . ولكنه لم يلبث طويلاً حتى طرأت عليه أحوال ساقته إلى الاشتغال بهذه الناحية من الفلسفة . ذلك أن جماعة من معلمي البيان ، سمو بالسوفسطائية ، تشككوا في العقل وفي أصول الأخلاق ، وطربهم سقراط ، والتف حوله تلاميذه ، فخاضوا كلهم في مسائل جدلية وخطمية كونت مواد الفلسفة العملية ، وكان هذا التطور مطابقاً للتطور الطبيعي في الفرد ينظر أولاً إلى الخارج ، ولا يتجه إلى الداخل إلا فيما بعد .

الفصل الأول السوفسطائيون

٢٣ - نشوء السوفسطائية :

١ - بعد أن دعت أثينا الفرس وحفظت لليونان استقلالهم وعقليتهم ، مضى هؤلاء يستكملون أسباب الحضارة بهم جديدة ، ونبغ فيهم العلماء والشعراء والفنانون والمؤرخون والأطباء والصناع ، وقويت الديمقراطية في جميع المدن ، وتمازج التنافس بين الأفراد ، فزادت أسباب النزاع أمام المحاكم والمجالس الشعبية ، وشاع الجدل القضائي والسياسي . فنشأت من هاتين الفاحيتين الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب المحاجة واستمالة الجمهور ، ووجد فريق من المثقفين المجال واسماً لاستقلال مواهبهم فانقلبوا معلمي بيوت . وهؤلاء هم السوفسطائيون ، والأول النصف الثاني من القرن الخامس .

ب - وكان اسم « سوفسطاوس » يدل في الأصل على المعلم في أي فرع كان من العلوم والصناعات ، وبنوع خاص على معلم البيان . ثم لحقه التحقير في عهد سقراط وأفلاطون ، لأن السوفسطائيين كانوا مجادلين منالطين ، وكانوا متجربين بالعلم . أما الجدل ففسد وقفوا عليه جهدهم كله . خرجوا من مختلف المدارس الفلسفية لا يرمون لغير تخريج تلاميذ يحذقونه ، وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد وتضيئه على السواء ، وبإيراد الحجج الخلاب في مختلف المسائل والمواقف . ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة ، بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي . ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الألفاظ ودلالاتها ، والقضايا وأنواعها ، والحجج وشروطها ، والمغالطة وأساليبها ، فخلفوا في هذه الناحية من الثقافة أثراً حقيقياً بالذکر . أما سائر العلوم فكانوا يلمون بها إلماماً يساعدهم على استنباط الحجج والمغالطات وعلى التظاهر بالعلم . فتناولوا بالجدل المذاهب الفلسفية المعروفة ، وعارضوا بعضها ببعض ، وتطرق عبثهم إلى المبادئ الخلقية والاجتماعية ، فجادلوا في أن هناك حقاً وباطلاً ، وخيراً وشرّاً ، وعدلاً وظلماً بالذات ، وأذاعوا التشكك في الدين فسخروا من شعائره ، واختلفوا على آلهته الأقاويل ، ومجدوا القوة والغلبة ، وكان الأصل إلى الديمقراطية تتمدد فيها القوانين

وتتناسخ ، فيدخل على النفوس أن القانون والحق ما يريد القوي .

ح - وأما أئجارهم بالعلم فقد كان شائناً حقاً : كانوا يتناقون بين المدن يطلبون الشباب الثرى ويتنافسونه الأجور الوفيرة . وكان هذا الشباب يهرع إليهم ليقتموى بالعلم فوق ما توفر له من أسباب الغلبة كالسال والمصبية ؛ فيستمع إلى خطبهم الملمية ودروسهم الخاصة . فأصابوا مالا طائلاً وجاهاً عريضاً . ولكن اليونان كانوا يستقبحون أن يباع العلم ويشترى وكانوا يفهمون التسليم على أن التلاميذ يدفعون على المعلم يقيم في مكان دائم ، ولا يبدلون من المال إلا الضروري لحاجات المدرسة ، فمكس السوفسطائيون الآية وتنزلوا بالعلم إلى مستوى الحرف والصنائع ، فلهجتهم الزرارية . لم يأخذوا بالعلم على أنه معرفة الحقيقة ، ولم يكثرثوا لقيمتها الذاتية ، ولا لفطرة العقل التي تدفعه لطلب الحق ، بل استعملوا العلم وسيلة لجر منفعة غريبة عن العلم ، وهزأوا من العقل ، فكانوا مملين وخطباء ، ولم يكونوا حكماء . هذا هو الموقف الشاذ الأهم الذي جعل اسمهم سببة على صرا الأجيال . - وأثمرهم اثنان : بروتاغوراس وغورغياس .

٢٤ - بروتاغوراس (٤٨٠ - ٤١٠) :

١ - ولد في أديرا ، وعرف فيلسوفها الكبير ديموقريطس . وبعد أن طاف أنحاء إيطاليا الجنوبية واليونان يلتقي فيها الخطب البليغة ، قدم أثينا حوالي سنة ٤٥٠ ، ولم تطل إقامته فيها لأنه كان قد نشر كتاباً أسماه « الحقيقة » وردت في رأسه هذه العبارة « لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين ، فإن أموراً كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم ، أخصها غموض المسألة وقصر الحياة » فاتهم بالإلحاد ، وحكم عليه بالإعدام ، وأحرقت كتبه علناً . ففر هارباً ، ومات غرقاً في أثناء فراره .

ب - وقد وصلت إلينا من الكتاب المذكور عبارة أخرى هي قوله « الإنسان مقياس الأشياء جميعاً . هو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد » . وشرحها أفلاطون كما يلي قال (١) : يتبين معناها بالجمع بين رأي هرقليطس في التفسير المتصل ، وقول ديموقريطس إن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة ، فيخرج منهما « أن الأشياء هي

(١) في معاورة « تيتياتوس » ص ١٥٢ .

بالنسبة إلى ما تبدولي ، وهي بالنسبة إليك على ما تبدولك ، وأنت إنسان وأنا إنسان »
 فالمتصور بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك ، لا المساهمة النوعية . ولما كان الأفراد
 يختلفون سناً وتكويناً وشموراً ، وكانت الأشياء تختلف وتتغير ، كانت الإحساسات متعددة
 بالضرورة متمارضة : أليس يحدث أن هواء يمينه يرتش منه الواحد ولا يرتش الآخر ،
 ويكون خفيفاً على الواحد عنيفاً على الآخر ؟ فإذا عسى أن يكون في هذا الوقت الهواء
 في ذاته ؟ هل نقول إنه بارد ، أم نقول إنه ليس بارداً ؟ أم نسلم أنه بارد عند الذي يرتش ،
 ليس ببارد عند الآخر ؟^(١) « وإذن فلا يوجد شيء هو واحد في ذاته وبذاته ، ولا يوجد
 شيء يمكن أن يسمى أو أن يوصف بالضبط . . . لأن كل شيء في تحول مستمر » فالحسه
 فهو موجود على النحو الذي نحسه ، وما ليس في حسنا فهو غير موجود . وعلى ذلك تبطل
 الحقيقة المطلقة لتصل محلها حقائق متعددة بتمدد الأشخاص وتمدد حالات الشخص الواحد
 ويمتنع الخطأ إذ يمتنع أن نتصور غير ما نتصور في وقت ما . — والنتيجة المنطقية أن ما يصدق
 على المعرفة يصدق أيضاً على العمل ، وأن الفرد مقياس النفع والضرر ، والخير والشر ، والمدل
 والظلم ؛ غير أن هذا لا يعني ترك الأمور فوضى وإنكار الحكمة والحكيم ، فإن من التصورات
 ما بعضه « خير » من بعض ، فالطبيب حكيم إذ يستخدم العقاقير لاستبدال تصورات
 الصحيح بتصورات المريض ، والأولى « خير » من الثانية والسوفسطائي أو تلميذه حكيم
 إذ يحدث في السياسة مثل هذا الانقلاب . فما يسمى حقاً في العمل هو النافع في وقت معين
 وظروف معينة^(٢) .

ح — ويتابع أرسطو أفلاطون في تأويل عبارة بروتاغوراس^(٣) . على أن لأفلاطون
 محاورة اسمها « بروتاغوراس » أقدم من « تيتياتوس » يصور فيها السوفسطائي حياً يرزق
 غير شاكٍ لا كثيراً ولا قليلاً ، بينما هو يقول عنه في المحاورة الأخرى إنه مات من زمن
 طويل ، ويورد « مذهبه » على أنه « رأى خاص » يختلف عما كان يملنه للجمهور . ومما
 يلاحظ أيضاً أن بروتاغوراس علل توقفه عن القول بالآلهة بصعوبة المسألة من جهة ،
 وبقصر العمر من جهة أخرى ، ولم يقل « الآلهة موجودون بالإضافة إلى من يؤمن بهم »

(١) لهذا دعا الإسلاميون مذهبه بالهندية : رأى كل فرد حق « عنده » وبالقياص إليه .

(٢) محاورة « تيتياتوس » ص ١٦٦ — ١٦٨ .

(٣) ما بعد الطبيعة م ٤ ف ٥ .

وغير موجودين بالإضافة إلى من ينكرهم» لهذا كله يمكن الأرتياب في أن يكون بروتاغوراس قد ذهب إلى هذا الحد من الشك، ويبقى أن «مذهبه» يمثل النتيجة المحتملة لذهب هرقليطس، وأن أفلاطون أخذ اسم بروتاغوراس عنواناً لها، وكل قصده أن يبرزها في صورة قوية.

٢٥ — غورغياس (٤٨٠ — ٣٧٥)

أ - ولد في ليونتيوم من أعمال صقلية . وأخذ العلم عن أنبادوقليس . واشتغل بالعلميات مثله ، وعنى باللغة والبيان ، فكان أفصح أهل زمانه وأبلغهم . قدم أدينا سنة ٤٧٧ يستنصرها باسم مدينته على أهل سراقوسة فحلب الباب الأثينيين ببلاغته . ويصوره أفلاطون في الحوار الممنون باسمه مفاخرأ بمقدرته على الإجابة عن أى سؤال يأتي عليه . مات في تساليا وقد قاربت سنه المائة أو جاوزتها ، وعظم صيته ، وضخمت ثروته .

ب - وضع كتابا «في اللاوجود» قصده به إلى التمثيل لفنه والإعلان عن مقدرته بالرد على الإيليين والتفوق عليهم في الجدل . وتتلخص أقواله في قضايا ثلاث : الأولى : لا يوجد شيء - الثانية : إذا كان هناك شيء فلاإنسان قاصر عن إدراكه - الثالثة : إذا فرضنا أن إنساناً أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس . - أما عن الأولى فيقول : اللاوجود غير موجود من حيث إنه لا وجود ، والوجود غير موجود كذلك ، فإن هذا الوجود إما أن يكون قديماً أو حادثاً : فإن كان قديماً فهذا يعنى أن ليس له مبدأ ، وأنه لااستناه ، ولكنه محوى بالضرورة في مكان ، فيلزم أن مكانه مفاير له وأعظم منه ، وهذا يناقض كونه لا متناهياً ، وإذن فليس الوجود قديماً . أما إن كان حادثاً ، فإما أن يكون قد حدث بفعل شيء موجود أو بفعل شيء غير موجود : ففي الفرض الأول لا يصح أن يقال إنه حدث ، لأنه كان موجوداً في الشيء الذي أحدثه ، فهو إذن قديم . وفي الفرض الثاني الامتناع واضح . - وأما عن القضية الثانية فإنه يقول : لسكى نعرف وجود الأشياء يجب أن يكون بين تصوراتنا وبين الأشياء علاقة ضرورية هي علاقة المعلوم بالملم ، أى أن يكون الفكر مطابقاً للوجود ، وأن يوجد الوجود على ما نتصوره . ولكن هذا باطل ، فكثيراً ما نتخذ عناحواسنا ، وكثيراً ما تركيب الخييلة صوراً لا حقيقة لها . - وأما عن القضية الثالثة فترجع حججته إلى أن وسيلة التفاهم بين الناس هي اللفظة ، ولكن ألفاظ اللفظة إشارات وضعية أى رموز ، وليست

مشابهة للأشياء المفروض عامها ، فكما أن ما هو مدرك بالمصري ليس مدركا بالسمع ، والمكس بالمكس ؛ فإن ما هو موجود خارجاً عنا منفاير للألفاظ . فنحن ننقل للناس ألفاظنا ولا ننقل لهم الأشياء . فاللغة والوجود دائرتان متخارجتان (١) .

ح — هذا مثال من عبث السوفسطائيين . ومهما يقل من أنهم أخرجوا الثقافة من المدارس الفلسفية ونشروها في الجمهور ، وأنهم مهدوا المنطق والأخلاق ، فقد كادوا يقضون على الفلسفة لولا أن أقام الله سقراط ينتشلها من هذه الورطة المهلكة .

(١) انظر الكتاب المنسوب إلى أرسطو : « في مليسوس واكسانوفان وغورغياس » ف ٥ و ٦ — ويسمى الإسلاميون موقفه بالنادية : ما من قضية إلا ولها مارضة يمثلها قرة .

الفصل الثاني

سقراط

(٤٦٩ - ٣٩٩)

٣٦ - حياته :

١ - نحن نعلم أن سقراط ولد في أثينا ، وعلم فيها ، واتهم بالإلحاد ، وحكم عليه بالإعدام ، ونعلم أنه أثار من الإعجاب والمدادوة في آن واحد ما لا يتفق إلا للرجال الممتازين ، وأن أثره كان من القوة بحيث إن اسمه يشطر الفلسفة اليونانية شطرين : ما قبله وما بعده . فإذا أردنا أن نصور شخصيته ، وأن نقيّد آراءه (وهو لم يمت بالكتابة قط) اعترضنا تضارب الروايات ، وتباين المذاهب الصادرة عنه^(١) . وأشهر الروايات ثلاث لثلاثة معاصرين هم : أرسطوفان وأفلاطون واكسانوفون . كان أرسطوفان شاعراً هنلياً يعرض على المسرح ألواناً من أخلاق الناس ؛ وقد خصص لسقراط إحدى قصصه وصوره فيها كواحد من السوفسطائيين لا أكثر ؛ وسنمود إليها بعد قليل . وكان أفلاطون فيلسوفاً فنانياً ، وضع كتبه في شكل محاورات توارى فيها وراء شخص سقراط ينطقه بأفكاره ويضيف إليه ما يشاء حتى يجعل منه صورة حية للمثل الأعلى . وكان اكسانوفون أديباً متفلسفاً ، جمع « مذكرات » لسقراط لا ندرى لها سفداً ، وأبرز فيها البساطة المعروفة عنه حتى نزل بها إلى حد التبذل ، فأخرج لنا صورة تافهة لا تفسر ما كان لسقراط من خطر . وإن هذا الخطر يرجع رواية أفلاطون ، على أن نحسب للمبالغة البريئة حسابها (٤٤ ج) وأن نمول على مؤلفاته الأولى القريبة المهد بسقراط ، يضاف إلى ذلك عبارات صريحة لأرسطو تمين على تصوير المذهب .

ب - بدأ سقراط بأن كان نحاساً كأبيه . ولكن الميل إلى الحكمة اشتد به في سن مبكرة ، بتأثير الأوساط الفيثاغورية والأورفية بأثينا ، فأخذ يمدى عقله ويهذب نفسه ، وقد فهم الحكمة على أنها كمال العلم لكل العمل . فمن الناحية العقلية ، أفاد من مناهج السوفسطائيين حتى كوّن لنفسه منهجاً ، ولم يأخذ بشكوكهم . ونظر في الطبيعيات والرياضيات ، ولم يطل النظر لبعدها عن العمل ، فضلاً عن تناقض الطبيعيين فيما بينهم .

(١) مذهب أفلاطون (الباب الثالث) ومذهب « صغار السقراطيين » (الفصل التالي) .

واقتمتع بأن العلم إنما هو العلم بالنفس لأجل تقويمها ، واتخذ شعاراً له كلمة قرأها في معبد دلف هي « اعرف نفسك بنفسك » ، ومن الناحية الخلقية ، كان يعالِب مزاياه الخداد ، ويقسو على جسمه القوى ليروضه على طاعة العقل .

ح - فلما تم له بمض غرضه ، طلع على الأثينيين يخوض معهم فيما كان يثيره السوفسطائيون من مسائل أدبية وخلقية واجتماعية ، والأثينيون يقبلون عليه رغم دمامة خلقته ، مبهجين بحديثه البسيط البليغ معاً وبقوة عارضته وشدة صراسته في الجدل . ولم يكن له مدرسة بمعنى الحكمة بل كان يجتمع بالناس أينما انفق ، فيجادل أو يخطب أو يشرح الشراء . وكانت له مع ذلك حلقة من الإخوان والمريدين ؛ منهم الأثيني ، ومنهم الغريب يختلف إلى أثينا من حين إلى حين ليراه ويستمتع إليه ؛ منهم حديث العهد بالفلسفة ، ومنهم المعروف بانتمائه لمدرسة أخرى . وكان يؤثر التحدث إلى الشباب لكي يصلح ما أفسد السوفسطائيون من أصرهم ، ويصبرهم بالحق والخير ، ليهيئ للبلد مستقبلاً طيباً على أيديهم . وحدث أن سأل أحد مريديه كاهنة دلف الناطقة برحى أبولون إن كان هناك رجل أعكم من سقراط . فكان الجواب بالسلب ، فسحب له سقراط ولم يكن يرى في نفسه شيئاً من الحكمة . وأراد أن يستبين غرض الإله ، فطفق يتدعن الشراء والخطباء والفنانين والسياسيين ، ليتحقق إن كان أحكم منهم ، ويكشف عن ساهية حكمته . كان يسألهم في حلقات واسعة تضم أشتات الناس فيما حدقوه من فن ، فلا يلبث أن يتبين وأن يبين لهم أنهم لا يعلمون شيئاً ، وأنهم إنما يصعدرون عن مجرد ظن ، أو عن إلهام إلهي ، وكلاهما مباحن للعلم^(١) . وخرج من هذا الامتحان الطويل بأن مراد الإله هو أن حكمته قائمة في علمه بجمله ، بينما غيره جاهل يدعى العلم . فضى في مهمته يبذل الحكمة بلائمن ، وهو يمتقد أنه يحمل في عنقه أمانة سماوية ، وأن الله أقامه مؤدباً عمومياً مجانياً يرتضى الفقر وبرغب عن متاع الدنيا ليؤدي هذه الرسالة الإلهية . وكان إلى جانب هذا وطنياً صادقاً وجندياً باسلاً اشترك في حربين ، دامت الأولى من سنة ٤٣٣ إلى سنة ٤٢٩ ، ووقعت الثانية سنة ٤٢٢ ، وتوسطهما موقعة سنة ٤٢٤ ، فدل في كل فرصة على رباطة جأش وشجاعة وصبر على مكاره الجندية ، ونجسى من الموت القبيادس في إحدى المارك ، واكسانوفون في أخرى . ثم أصابته القرعة فدخل مجلس الشيوخ ، فعرف بالنزاهة واستقلال الرأي بين الديمقراطيين والأرسقراطيين ، وكانت له مواقف مشهودة جهر فيها بالحق والمدل مستهدفاً للخطر صامداً للهياج . وما أن انقضت مدة

(١) انظر فيما بعد عدد ٤٥ ج .

انتخابه حتى نادى إلى سابق أسمى من البحث والإرشاد ، إلى أن بلغ السبعين^(١) .

٤٧ — فلسفته :

أ - اتجه سقراط منهجاً جديداً في البحث والفلسفة . أما في البحث فكان له مرحلتان تدعيان « التهكم والتوليد » : ففي الأولى كان يتصنع الجهل ، ويقظاهر بتسليم أقوال محدثيه ، ثم يلقى الأسئلة ويسرض الشكوك ، شأن من يطلب العلم والاستفادة ، بحيث ينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة منها ولكنهم لا يسمونها فيرقمهم في التناقض ويحملهم على الإقرار بالجهل . فالتهكم السقراطي هو السؤال مع تصنع الجهل^(٢) أو تجاهل العالم ، وغرضه تخليص العقول من العلم السوفسطائي أى الزائف ، وإعدادها لقبول الحق . وينتقل إلى المرحلة الثانية ، فيساعد محدثيه بالأسئلة والاعتراضات مرتبة ترتيباً منطقياً على الوصول إلى الحقيقة التي أقروا أنهم يجادلونها ، فيصلون إليها وهم لا يشعرون ، ويحسبون أنهم استكشفوها بأنفسهم . فالتوليد هو استخراج الحق من النفس . وكان سقراط يقول في هذا المعنى إنه يحترف صناعة أمه — وكانت قابلة — إلا أنه يولد نفوس الرجال^(٣) . والأمثلة كثيرة في محاورات أفلاطون على هذين المنهجين .

ب - وأما في الفلسفة فكان يرى أن لكل شيء طبيعة أو ماهية هي حقيقته يكشفها العقل وراء الأعراض المحسوسة ، ويميز عنها بالحد ؛ وأن غاية العلم إدراك الماهيات ، أى تكوين معان تامة الحد . فكان يستعين بالاستقراء ويقدرج من الجزئيات إلى الماهية المشتركة بينها ، ويرد كل جدل إلى الحد والماهية فيسأل : ما الخير وما الشر ، ما العدالة وما الظلم ، ما الحكمة وما الجنون ، ما الشجاعة وما الجبن ، ما التقوى وما الإلهاد ، وهكذا . فكان يجتهد في حد الألفاظ والمعاني حداً جامعاً عامماً ، ويصنف الأشياء في أجناس وأنواع ، ليمتدح الخلط بينها ، في حين كان السوفسطائيون يستفيدون من اشتراك الألفاظ وإبهام المعاني ، ويتهربون من الحد الذي يكشف المغالطة . فهو « أول من طلب الحد السكلي طلباً مطرداً ، وتوسل إليه بالاستقراء . وإنما يقوم العلم على هاتين الدعمتين : يُكتسب الحد بالاستقراء ،

(١) انظر أفلاطون : « احتجاج سقراط على أهل أثينا » .

(٢) أفلاطون : « الجمهورية » م ١ ص ٢٣٧ (١) .

(٣) أفلاطون : « تيتيانوس » ص ١٤٩ — ١٥٢ .

ويركب القياس بالحد ، فالفضل راجع إليه في هذين الأخرين»^(١) . ولقد كان لاكتشافه الحد والمهية أكبر الأثر في مصير الفلسفة . فقد ميز بصفة نهائية بين موضوع العقل وموضوع الحس ، وغير روح العلم تغييراً تاماً ، لأنه ، إذ جعل الحد شرطاً له ، قضى عليه أن يكون مجموعة ماهيات ، ونقله من مقولة الكمية حيث استبقاه الطبيعيون والفيثاغوريون ، إلى مقولة الكيفية . فهو موجد « فلسفة المعاني » أو الماهيات ، التجلية عند أفلاطون وأرسطو ، والتي ترى في الوجود مجموعة أشياء عقلية ومقولة .

ح — سبقت الإشارة إلى أنه لم يحفل بالطبيعيات والرياضيات ؛ ولم يكن موقفه بإزاء النظريات الداعية ليختلف كثيراً عن موقف السوفسطائيين ، فأثر النظر في الإنسان وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الأخلاق^(٢) باعتبارها أهم ما يهم الإنسان — وهذا معنى قول شيشرون أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، أي أنه حول النظر من الفلك والمناصر إلى النفس . وتدور الأخلاق على ماهية الإنسان . وكان السوفسطائيون يذهبون إلى أن الطبيعة الإنسانية شهوة وهوى ، وأن القوانين وضعها المشرعون لتهرب الطبيعة ، وأنها متغيرة بتغير العرف والظروف ، فهي نسبية غير واجبة الاستمرار لذاتها ، ومن حق الرجل القوي بالسياسة أو بالمال أو بالبأس أو بالشهامة أو الجدل ، أن يستخف بها أو ينسخها ويجرى مع هوى الطبيعة . فقال سقراط : بل الإنسان رزح وعقل يسيطر على الحس وينبذ به ، والقوانين المادلة صادرة عن العقل ، ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين المادلة يحترم العقل والنظام الإلهي . وقد يحتمل البعض في مخالفتها بحيث لا يناله أذى في هذه الدنيا ، ولكنه مأخوذ بالقصاص المدل لا محالة في الحياة المقبلة . والإنسان يريد الخير دائماً ، ويهرب من الشر بالضرورة ، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أرادته حتماً . أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل أنه يرتكب الشر عمداً . وعلى ذلك فالفضيلة علم ، والرذيلة جهل — وهذا قول مشهور عن سقراط يدل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير . وإن كان فيه إسراف فما أجمله من إسراف !

د — ولا شك أن مابسطه أفلاطون في محاورته « أوطيفرون » من رأى في الدين

(١) أرسطو : ما بعد الطبيعة م ١ ف ٦ ص ٩٨٧ ع ب س ١ — ٤ و م ١٣ ف ٤ ص ١٠٧٨ ع ب س ١٦ — ٣٠ باختصار .
(٢) أرسطو : في الموضوعين المتقدمين .

يرجع إلى استناده ويتفق مع تماثيل الفيثاغورية والأورفية . ونحن نقرأ فيها أن سقراط يأتي أن يصدق ما يروى عن شهوات الآلهة وخصوصاً منهم ، وإلا انهار الدين من أساسه ، ولم نعد نعلم أى الأعمال يروى في أعين الآلهة ، وأنها لا يروق ، ولا إن كان العمل الحسن عند أحدهم لا يمد صدقاً عند غيره . ويحمد الدين بأنه تكريم الضمير النقي للمدالة الإلهية ، لا تقديم القرابين وتلاوة الصلوات مع تلطخ النفس بالإثم . كذلك كان يعتقد أن الآلهة يعاوننا ، وأنهم عينوا لكل منا مهمة في هذه الدنيا . وكان يؤمن بالخلود ، ويمتقد أن النفس متميزة من البدن فلا تفسد بفساده ، بل تخلص بالموت من سجنها ، وتعود إلى صفاء طبيعتها . وليس يهمننا كثيراً أن نقف على شروحه وأدلتها ، فقد اصطلمها أفلاطون بلاريب وزاد عليها . وليس من غمناضنة على سقراط أن يقفى مجهوده في جهود أفلاطون ؟ فحسبه أنه باعث الفلسفة ، وموجهها وجهتها الروحية ، وشهيدها الأمين .

٢٨ - محاضراته ومماته :

١ - إذا كان منهجه قد حشد حوله جماهير الأثينيين وأفاده شهرة واسعة ، فقد جلب عليه سخط الشمرء والخطباء والسياسيين الذين كانوا يقومون فريسة بين يديه ، يعث بهم في الجدل ، ويظهر الناس على فراغ رؤوسهم وبطلان دعاوهم . وأقدم طعن وجه إليه فيما نعلم رواية « السخط » لأرسطوفان يصوره فيها ذائع الصيت عظيم النفوذ (وكان سقراط حينذاك في السابعة والأربعين) صاحب مدرسة يعيش فيها التلاميذ عيشة مشتركة في فقر وقناعة ، ويدرسون عليه الهندسة والطبيعة والفلك والآثار العاوية والجغرافيا وأعماق الأرض والكائنات الحية والبيان والنصير والعروض . وعقله جالساً في سلة مرفوعة في الفضاء يفاحي السخط مأوى المنكرين الخياليين ، ويمزق إليه القول بأن الهواء مبدأ الأشياء ومبدأ الفكر ، ويتهمة بالكفر بالآلهة المدينة ، وبتهلم التلاميذ تغليب الباطل على الحق ، ويعلم أن القصاص المادل إحراق المدرسة وقتل صاحبها والتلاميذ جميعاً . - فأرسطوفان جمع في شخص سقراط خصائص الطبيعيين والسوفسطائيين ، وأراد أن يهجو هذه الجماعة المتفلسفة المبتدعة ، وكان هو محافظاً يفار على التقاليد . وقد يكون خدع بالمشابهة الظاهرة بين طريقة سقراط وطريقة السوفسطائيين ، إذ كان يجادل مثلهم ويخوض في مسائلهم ، بحيث لم يكن من المسور تمييزه منهم إلا المقربين إليه الواقفين على آرائه ؛ فاختره بطلا لروايته لشهرته عند الأثينيين ، وغرابة هيئته ، ورآه أدعى المتفلسفين لتكوين شخص رواية هزلية وإسقاط الجماعة

الذين يمثلهم . وقد يكون سقراط امتهنه فيمن امتهن ، وأخفه أمام الجمهور ، فأراد هو أن ينتقم لنفسه ولزملائه وأن يوقع بهذا الخصم المنيد . ومهما يكن من الباعث له ، فإن روايته لم تصادف إقبالا ، ولم تلهق أى أذى بسقراط ، بل إن سقراط كان يذهب لمشاهدتها ويفضحك منها .

ب — وبعد ذلك بثلاث وعشرين سنة (٣٩٩) أخذ ثلاثة على أنفسهم أن يبعثوا اتهامه ، وأن يؤيدوه أمام القضاء ، فنقدموا بعريضة يدعون فيها « أنه ينكر آلهة المدينة ، ويقول بغيرهم ، ويفسد الشباب » ويطلبون الإعدام عقاباً له . هؤلاء الثلاثة هم : أنتيوس أحد رؤوس الصناعة وزعماء الديمقراطية ، ومليتوس شاعر شاب خامل ، وليقون خطيب لا بأس به . أقام الدعوى مليتوس ، وانضم إليه ووقع على عريضته الاثنان الآخران ؛ ولكن المحرك الأصلي أنتيوس أغرى صاحبيه بالمال واستغل حفيظتهما ؛ فإنه كان أقدر منهما على التأثير في سير الدعوى . فأسباب الاتهام شخصية وسياسية ، لأن سقراط ، علاوة على تسفيه الشعراء والخطباء ، كثيراً ما كان يحمل على النظام الديمقراطي ، وينتقد ما يقوم عليه من مساواة مسرفة ، وقوة المدد ، وانتخاب بالقرعة . ويأوح أن المقصود بالتهمة الأولى سخف سقراط من قصص الآلهة ؛ وبالتهمة الثانية ذلك الصوت الذي كان سقراط يقول إنه يسمعه في نفسه ينهأ كلما اعترم فعلاً ضاراً به وهو لا يدري ، وكان يسميه بالروح الإلهي ولا ينسبه لإله معين ؛ وبالتهمة الثالثة أن سقراط ، إذ يحدث تلاميذه ومستمعيه بآرائه في الآلهة ، ينفرهم من الديانة الموروثة ، ويحضعهم على التفكير الشخصي دون مبالاة بالنقل والتقليد ، فيضعف من طاعتهم لوالديهم ، من إخلاصهم للدولة .

ج — أما المحكمة فكانت مؤلفة من محلفين اختيروا بالقرعة ، ويظن أن عددهم كان خمسمائة واثنين : فكانت المحكمة إذن جماعياً حاشداً من النوتية والتجار يتأثرون بالنزعات الشمسية والتيارات الفجائية ، ولا يصلحون بحال للنظر فيما ندبوا له . ودافع سقراط عن نفسه ولا نعلم ماذا قال ، ولكننا إذا رجعنا إلى الدفاع الذي كتبه أفلاطون وأجرى فيه الكلام على لسان أستاذه ، ألفيناه يبدأ بالاعتذار من الكلام بلا تحضير ولا تميم ، ثم يذكر خصومه المتقدمين والمتأخرين ، فيرد أولاً على الشعراء المزليين ، وبالأخص على أرسطوفان ، فينكر أنه اشتغل بالعلوم الطبيعية ، وأنه عرض الآلهة بسوء ، ويملل التعامل عليه بامتهانه المشهور ، ويلتمس عذراً لهذا الامتحان رغبته في التحقق من مراد أبولون . وينتقل إلى مليتوس ، فيهزأ منه ويربكه بالأسئلة . ولكنه لا يبسط معتقده الديني ولا يدحض التهمة دحساً قاطعاً ،

وربما كان السبب في هذا التحفظ إشفاقه أن تثار مثل هذه المسائل أمام مثل هذه المحكمة ، وتحاشيه إهاجة الجمهور على غير طائل . ويعود إلى رسالته ويقول : إن إرادة إلهية أوحت إليه أن ينظ مواظنيه ويحثهم على الصلاح ، ويمثته فيهم سهماً يمحزونهم ، فهو نورهم وهدايتهم والمحسن إليهم بتماليه ونصائحه ، يبذلها لهم ليؤدي واجباً ، ولا يتغنى عرضاً من أعراض الدنيا . ويعلن إليهم أنه إذا صرف برىء الساحة فلن يغير من سيرته شيئاً . وكيف يغير وهو لا يخشى الموت ، بل يؤثره على الحياة مع خيانة الواجب ؟ وأخيراً يفوض لهم الأمر بمد أن يذكر أنه يأبى أن يستمطفهم وأن يتنزل إلى ما يتنزل إليه غيره من ضروب الاسترحام المألوفة في المحاكم الشعبية ، كاللكاء والاستبكاء في حضرة الآباء والأبناء . ولم يكن هذا الشتم وهذا التحدى ليمحجان القضاة ، فيقترعون ؛ وإذا بالغالبية على أن سقراط مذنب . وكان القانون يحول المتهم حق مناقشة العقوبة المطاوعة ، وتعين العقوبة التي يرتضيها فيستأنف سقراط الكلام ويصرح أنه لا يدهش للقرار ، بل يدهش لأنه صدر بغالبية ضئيلة لا تمدو ستين صوتاً ، كان يكفي أن ينحاز ثلاثون منها إلى الأقلية حتى تتساويا . ويرفض كل عقوبة لأن الرضى بوحدة أية كانت إقرار بالذنب ، وهو برىء محسن يجب أن يثاب على إحسانه ، والثواب اللائق به أن يعيى في مجلس الشيوخ على نفقة الدولة . غير أن تلاميذه يلحون عليه ، فينتهى بأن يقبل تأدية غرامة ، ويتقدم أفلاطون وبعض الأصدقاء بكفالاته . ولكن القضاة كانوا قد غضبوا عليه وكان خصومه يسرون بين الصفوف ويحرضون عليه ؛ فيقترح القضاة ، فتحكم عليه بالإعدام أغلبية أعظم . فيما ود الكلام ويقول : إنه لا بأسف على شيء ، لأنه لم يفعل ولم يقل إلا ما بدله أنه حق . ويختم بكلمة طيبة إلى الذين اقترحوا في جانبه ؛ مؤكداً لهم أنه مستببط بالموت ، وأنه لا يعتبره شراً ، بل يرى فيه الخير كل الخير سواء اقترنناه سبباً أبدياً أم بهما حياة جديدة (١) .

و — وكانت أثينا ترسل كل سنة حجيجها إلى ممبد أبولون في جزيرة ديوس فانفق أن كلت مؤخرة المركب في اليوم السابق على صدور الحكم . وكان قانوناً صريحاً أن لا تدنس المدينة بإعدام طوال زمن الحج . وقد استغرق في تلك السنة ثلاثين يوماً . فانتظر سقراط في سجنه أوبة المركب . وكان تلاميذه يختلفون إليه كل يوم ، يتلاقون عند الفجر في المحكمة فإذا ما فتح باب السجن دخلوا . وكثيراً ما كانوا يقضون معه النهار بأكمله . وكان هو ينظم في أوقات الفراغ ؛ فنظم أمثال أيسوب ، ونشيداً لأبولون . ولم يكن قد نظم الشعر من قبل

(١) أفلاطون « احتجاج سقراط على أهل أثينا » .

وإنما نظم استمثالا لصوت طالما سمعه في المنام^(١) . وائتمر تلاميذه ، فهياًوا له أسباب الفرار ، ووفروا له وسائل العيش في تساليا . وكان الفرار مستطاعا ، وكان العرف يعذر الفار في مثل هذه الحال . ولكنه أبى أن يهرب كالبيد ، وأن يخرج على قوانين بلاده ، والقوانين سياج الدولة ، في ظلها ينشأ الأفراد ويحيون . فلئن كان الأثنيون ظلموه ، فبأى حق يستهين هو بالقوانين ويظلمها ؟ ثم كيف يهرب وهو لم يفادر أئينا قط إلا للهرب دونها ، وهو أينما يذهب سيثار على خطته من الوعظ والتأنيب ، وإلا ضاع لديه كل معنى للحياة ، وأغضب الإله . فهل يكون الأجانب أوسع صدراً من مواطنيه؟^(٢) .

هـ — ولما عادت المركب وحل الأجل ، بكر التلاميذ (ماخلاً أفلاطون ، فقد كان صريضا) وجاء بعض الفيثاغوريين ، فأدخلوا عليه ، فوجدوا زوجته جالسة بجانبه تحمل ابنهما الصغير . فلما وقع نظرها عليهم أخذت تنتحب وتندب ، فأصر أن تصرف إلى المنزل فأخذها بعض الخدم وهي تصيح وتضرب صدرها^(٣) . وجلس إليه صريده ، وكان هو سميذاً . وكان شيء من هذه السعادة ينتقل إلى نفوسهم ، فيتحدثون معه على عاداتهم وبعضهم ، ثم يفكرون في موته فيبكون ، ثم يستأنفون الحديث ، وهكذا^(٤) . وكان منظم حديثهم في خلود النفس . حتى إذا ما تقدم النهار قام فاستحم ليكني النساء وثروة إحمام جثة هامدة . فلما رجع أدخل عليه قريباته ومعهن أولاده الثلاثة ، فكلتهم ثم صرفهم . ولما آذنت الشمس بالمغرب دخل السجن وأبلغه ذو الساعة وأثنى على خلقه وبكى — وكان الغروب مبيداً الإعدام عندهم . فأصر سقراط بالسم ، فأحضر له مستحرقاً في كأس ، فتناولها بثبات ، ودعا الآلهة أن يوفقه في هذا الرحيل من العالم الغافى إلى العالم الباقى ، وشرب الكأس حتى آخرها دون تردد ولا اشمزاز . وأجهش التلاميذ بالبكاء فأنهروهم ، وأخذ يتمشى ، حتى إذا ما أحس بثقل رجله استلقى على ظهره كما أوصاه صاحب السم . وأخذت البرودة تغشى جسمه من أسفل إلى أعلا ، فيفقد الإحساس شيئاً فشيئاً ، حتى بلغت القلب فاعترتة رجفة فأطبق أقريطون فم وعينه^(٥) .

(١) أفلاطون : « فيدون » ص ٥٨ — ٦١ .

(٢) أفلاطون : « أقريطون » .

(٣) أفلاطون : « فيدون » ص ٦٠ .

(٤) أفلاطون : « فيدون » ص ٥٨ (١) — ٥٩ .

(٥) « فيدون » ص ١١٦ — ١١٨ .

الفصل الثالث

صغار السقراطيين

٢٩ - ثلاث مدارس :

١ - من أصحاب سقراط جماعة عملوا في حياته أو بعد مماته ، وكتبوا « مصنفات سقراطية » أجزوا فيها على لسانه تأويلهم الشخصي لفكره ، مع ادعائهم جميعاً صدورهم عنه . أشهرهم ثلاثة : أفليدس مؤسس المدرسة الميغارية - وانتستانس مؤسس المدرسة السكلمية - وارسبوس مؤسس المدرسة القورينائية . ظلت مدارسهم قائمة زمناً طويلاً ، ومع ذلك لم يصلنا من كتبهم الكثير سوى بعض الشذرات ، وندرت الأخبار الصادقة عنهم حتى ليتدبر تصوير أشخاصهم ورواية آرائهم بشيء من الدقة والتفصيل . وقد اصطلح على تسميتهم بصغار السقراطيين أو أنصاف السقراطيين ، على تقدير أن أفلاطون هو السقراطي الكبير والسقراطي الخالص . ويعترض البعض على هذه التسمية فيقول : أما أن أفلاطون أعلامهم قدراً ، فهذا حكم قائم على أن كتبه قد وصلت إلينا وضاعت كتبهم ؛ وأما أنه السقراطي الحقيقي ، فمن أين لنا أن تعاليم سقراط هي التي ذكرها أفلاطون ؟ ونحن لا نرى بأساً بهذه التسمية مادام الحفظ قد خانهم إلى هذا الحد ، وأوصد دوننا كل سبيل لإنصانهم إن كانوا يستحقون الإنصاف . وأغلب الظن أنهم لا يستحقون ، فإن ما بقى لنا من أقوالهم وأخبارهم يدل على أنهم مارسوا النقد السلبي المعروف عن السوفسطائيين ، في حين أن أفلاطون وحده أقام مذهباً إيجابياً : فهو كبير وهم صغار . ثم إن الصورة التي بقيت للإنسانية عن سقراط هي تلك التي رسمها أفلاطون : فبالقياس إليها وبالإضافة إلى حالة علمنا بهم ، يكون أفلاطون السقراطي الكلي ، ويكونون هم أنصاف سقراطيين .

٣٠ - أفليدس الميغاري (١)

١ - عاد أفليدس إلى وطنه ميغاري وأنشأ بها مدرسة اشتهرت بالجدل . ولحق به بعض الإخوان ، منهم أفلاطون . كان أفليدس قد تلقى في أول أمره المذهب الإيلي بما فيه من جدل عند بارمنيدس وزيتون . ثم عرف الحركة السوفسطائية ، فجاء مذهبهم مزيجاً من

الإيلية والسقراطية ، مع ميل كبير إلى السفسطة . جمع بين الوجود البرميندي والخير السقراطي مطلب الإرادة وقاعدة الأخلاق . فقال إن الوجود واحد ، والخير واحد كذلك ؛ وما ليس خيراً فلا وجود له ؛ أو — على حد تعبير أرسطو — الوجود والخير متساويان ، فالوجود خير والخير وجود . ولكن الخير يسمى بأسماء كثيرة ، فيقال له الله أو المنابة أو العقل . ويبدو الوجود في ماهيات مختلفة هي مظاهر الوحدة الأسلمية ، وليس لها وجود إلا في الفكر . أما إذا اعتبرناها حقيقية امتنع كل قول وكل حكم ، لأن وضعها في الحقيقة يجعلها منفصلة متمايزة ثابتة ، فكيف تحمل واحدة على أخرى ؟ كذلك تمتنع الحركة لامتناع تحول ماهية إلى غيرها . فالحكم لغو ، والحركة وهم ، والمساهايات واحدة وإن تمددت الأسماء . — فأقليدس إيلي عاج مذهب بارميندس بما أخذ عن سقراط من أقوال في المعنى السكلي والماهية والحكم والخير . وهو إيلي كذلك في منهجه ، إذ يقال إنه كان يقلد زينون فيتمدد على برهان الخلف ، وهو برهان يهدم النتيجة ببيان ما يترتب عليها من محالات ، دون التعرض للمقدمات . والجدل السقراطي قائم على الاستقراء بالأمثلة ومهاجمة مقدمات الخصم .

٣١ — انتستانس الأثيني (٤٤٤ — ٣٦٨) :

أ — ولد انتستانس في أثينا . وتلامذ لثورغياس فنشأ على السفسطة . ثم عرف سقراط ولزمه . وبعد وفاة سقراط أخذ يعلم . وكان يجتمع بتلاميذه في مكان اسمه « السكب السريع » فأطلق عليهم اسم السكبيين . ولعل هذا الاسم لحقهم بالأكثر لاسماجتهم وغرابة أطوارهم : فقد كان انتستانس معجباً بتواضع سقراط وبساطة مبادئه وحرية قوله ، فأسرف في محاكاته ، وأسرف تلاميذه .

ب — وإذا أخذنا بشهادة أفلاطون وأرسطو ، لم نضف إليه مقدرة فلسفية خاصة . فقد وصفه الأول « بالشيخ البليد العقل » ووصفه الثاني بأنه « رجل فظ أحق » . تكلم في الماهية فأنكر أن تكون كلية وقال « إنى أرى فرساً ، ولا أرى الفرسية » : فالماهية عنده فردية ، يبر عنها بلفظ مفرد ، لا يحد مركب من لفظين أو أكثر . وعلى ذلك يستحيل الحكم والجدل والخطأ ؛ أما الحكم ، فلأنه يستحيل تصور شيء إلا بتصور هذا الشيء نفسه ، ويستحيل التكلم عنه إلا بذكر اسمه ، فإن الماهية إما أن تكون بسيطة ، فلا تحد بل تشبه بشيء آخر ؛ وإما أن تكون مركبة ، فتذكر عناصرها ، والعناصر لا تحد ، بل تشبه بغيرها ، وفي كلا الحالتين تعرف الماهية باسمها أو باسم ماهية تشبهها . وكان يقول

بهذا المعنى « بداية كل تعليم دراسة الأسماء » . فليست تضاف الماهيات بعضها إلى بعض ،
ولسكنها تبقى منفصلة لتباينها ، مثل مباينة « الإنسان » و « الطيب » : فكل ما يصحح أن
يقال هو الإنسان إنسان ، والطيب طيب . وأما الجدل فستحيل لأن المتناظرين إما أن يتمقلا
شيئاً واحداً فهما متفقان ، وإما أن يتمقلا أشياء مختلفة فلا معنى للمناظرة . وأما استحالة
الخطأ فالأن المفهوم من الخطأ أنه تصور ما ليس موجوداً ، ويستحيل أن نتصور غير الموجود .

ح - هذا الرأي في التصور والحكم يستتبع ازدياد العلم ، من حيث إن العلم مجموعة
معان وأحكام . وكان انتستانس يزدري العلوم بالفعل ، ويعتبرها غير مفيدة للسيرة ، فقصر
كلامه على الفضيلة ، وهي عنده الشيء الوحيد الضروري للحياة . وكان يحمل على اللذة
وأتباعها ويقول « إنى أؤثر أن أثبتى بالجنون على أن أشمر باللذة » . وبالطبع لم يستخدم في
تعليم الفضيلة النهج الاستدلالي الذي تقدمه ، بل كان يورد الأمثال ، ويذكر الأبطال ، ويصوغ
الحكم ، فيبرز الفضيلة في صورة حية ، ويحث عليها بإثارة المحاكاة لا بالبرهان . وكان يقول
إن الفضيلة في الأفعال ، والأفعال لا تعلم ، ولسكنها تكتسب بالمران . فليست الكيفية إذن
منهجاً فلسفياً وإنما هي سيرة وحياة .

٣٣٢ - أرسطوبس القوريناى (٤٣٥ - ٣٦٦) :

أ - نشأ أرسطوبس في قورينا^(١) ثم رحل إلى أثينا ، وانضم إلى السوفسطائيين ، إلى
أن اتصل بسقراط فسكان واحداً من تلاميذه المواظبين . وبعد ممات المعلم سافر إلى جهات
مختلفة . وقضى مدة طويلة في بلاط سراقوسة ، والتقى هناك بأفلاطون ، ولسكنه أصحاب من
النجاح أكثر مما أصاب صاحبه ، لما كان يظهره من الخزع والملق استبقاء للنمعة . وفي
أواخر حياته عاد إلى قورينا وعلم فيها .

ب - ويستدل مما عرف عن مدرسته أنه كان حسيماً تصورياً مثل بروتاغوراس ، يقول
إننا لا ندرك سوى تصوراتنا ، ولا نبلغ إلى الأشياء التي تسبب الإحساسات ، بل لا ندري
إن كانت إحساساتنا تشبه إحساسات غيرنا من الناس ، لأن الإحساس شخصي ونحن
منزلون عن الخارج كأننا في مدينة محصورة ، ولا يشترك الناس في غير الألفاظ التي يسمون
بها إحساساتهم ، واللفظ الواحد يدل على شعور مختلف عند كل منهم . وإذن فلا حكم

(١) هي الآن قرية صغيرة تدعى قرنة في بلاد برقة (طرابلس الغرب) .

ولا علم . وكان أرسطوبوس هو أيضا يزدري العلم النظري كالكلبيين ، أما الأخلاق فقائمة على هذا الأساس التصوري ، أى على الشعور باللذة والألم . وهذا الشعور حركة نفسية ، فإن كانت الحركة خفيفة كان الشعور لذيذاً ، وإن كانت عنيفة كان مؤلماً . فاللذة هي الخير الأعظم ، وهي مقياس القيم جميعاً : هذا هو سموت الطبيعة ، فلا نخجل ولا نحياء . وما القيود والمحدود إلا من وضع العرف ، إذن فالسعادة فى اللذة ، وفى اللذة الحاضرة ، لسكن من غير تعلق بها ، لأن التعلق مصدر قلق وألم ؛ ومن غير تفكير فى المستقبل ؛ لأن المستقبل غيب والتفكير فيه مصدر قلق وألم كذلك . فالحرية الحقبة والسعادة الصحيحة فى التخلص من الشهوة باللذة التى ترضيها ؛ أو بالتخلص من الحياة متى لم يمد منها نفع .